جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

اهمية البحث العلمي

في التعرف على اسباب الادمان على المخدرات والمسكرات في البيئة العربية

الدكتور عبدالوهاب عبدالعزيز الشيشاني

الرياض

1412 هـ - 1991 م

أهمية البحث العلمي
في التعرف على أسباب الادمان
على المخدرات والمسكرات في البيئة العربية

الدكتور محمد حمدي حجار(*)

١ ـ المقدمـــــة:

على مستوى علم الوبائيات من الخطأ أن تتم معالجة أية مشكلات سلوكية اجتماعية في مجتمع ما من خلال استيراد المفاهيم والتفسيرات والافتراضات من مجتمع آخر غريب عن المجتمع الذي ندرس فيه الظواهر السلوكية ذاتها ونطبقه عليه، فكما اننا على مستوى القياس النفسي لا يجوز علمياً تطبيق معايير المقاييس التي لها قابليات عقلية أو سمات شخصية معينة تصلح لمجتمع ما على مجتمع آخر بدون تغيير هذه المقاييس على المجتمع الذي نطبق عليه تلك المقاييس كذلك فإن هذه الأحكام تنطبق على تفسيرات وتأويلات الظواهر السلوكية الادمانية في أي مجتمع.

(*) أستاذ محاضر بجامعة دمشق. الجمهورية العربية السورية.

من هذا المنطلق تفرض العملية العلمية الموضوعية ان نخطط لأعمال بحثية في دراسة ظواهر سلوكية وبائية مثل الادمان على المخدرات أو المسكرات أو الأمراض الجنسية مثلاً على مجتمع تنتشر فيه هذه الظواهر المؤذية للمجتمع وللفرد ذاته للتعرف على العوامل، وتأثيرات هذه العوامل في خلق هذه الظواهر مع الأخذ بالمعطيات العلمية العامة الأساسية والجوهرية التي تسبب هذه الظواهر السلوكية السلبية في أي مجتمع ما؛ أي بتعبير آخر، ماهو أقرب الى المتحولات الثابتة القابلة للتعميم في أي مجتمع.

من هذا المنظور الاحترازي العلمي يتم اجراء البحث العلمي في دراسة أية ظاهرة سلوكية اجتماعية سلبية

اننا لا نستطيع أن نأخذ بأسباب وعوامل الجريمة في المجتمع الأمريكي مثلاً في معالجة الجريمة في المجتمع العربي أو الوقاية منها، فالمجتمع الأمريكي فيه متحولات وعوامل محدثة للجريمة تختلف عما هي عليه في المجتمع العربي رغم وجود مسببات ثابتة تقريباً في أسباب الجريمة يمكن تعميمها على أي مجتمع تسود فيه الجريمة، وقل الأمر ذاته بالنسبة لأسباب الادمان على المخدرات، وللأسف إن الأصول العلمية على المستوى التخطيطي والاجرائي في الدول العربية لا نفي بالغرض المطلوب للحصول على الخط القاعدي Base line الذي يوضح أسباب الادمان على المخدرات بكل أنواعها

والمسكرات أيضاً، كما أنه لا توجد احصائيات دقيقة وموثوقة عن معدلات انتشار الادمان كمياً في مختلف الأعمار من كلا الجنسين في بلد عربي ما، وتتبع هذه المعدلات صعوداً وهبوطاً وكل ما هناك ان الاحصائيات تعتمد على الحالات المعالجة المصرح عنها من قبل الأفراد أو أولئك الذين يقعون في قبضة العدالة الذين يتعاطون المخدرات بصورة منتظمة أو عابرة.

وبدون وجود خط قاعدي موثوق عن أسباب الادمان وحجم انتشاره في فئات الأعمار المختلفة يكون من المستحيل وضع الخطط الفعّالة النافذة لمكافحة الادمان على المستوى الوقائي والعلاجي، لأننا نكون في هذه الحالة عاملين ضمن افتراضات مستوردة، ولنقل أننا نعمل في فراغ الافتراضات، وهذه حقيقة يجب أن نعترف بها.

٢ ـ أهمية البحوث المنهجية والاجرائية والجهات المعنية في البحوث:

ان ما ذكرناه إذن يفرض الأخذ بعلم المنهج في دراسة أية ظاهرة أو سلوك يسود في المجتمع، والأخذ بعلم المنهج يفترض توافر المختصين، والوسائل، والأجهزة التنفيذية، أي هذا الثالوث الهام لمعرفة أسباب الظاهرة، أي تحديد المشكلة، من جهة، وحجمها من جهة ثانية، ومن خلال تحديد الأسباب

وحجم المشكلة يتوافر لنا الخط القاعدي الذي تنطلق منه في وضع خطط الارشاد، والتوعية والعلاج، ولنعاين الآن هذا الثالوث.

أ ـ الوسيلـــة:

لعل أفضل وسيلة في دراسة الظواهر السلوكية الاجتماعية والتعرف على أسبابها هي الأخذ بأسلوب الاستبيان Questionnaire الذي يتضمن بدقة متناهية وبصورة مقننة جميع الأسباب الفاعلة في حدوث الظاهرة هدف البحث، أي بتعبير آخر جميع المتحولات المفترضة التي تخلق الظاهرة.

وميزة هذا الأسلوب أنه يمكن تطبيقه تطبيقاً جماعياً بأخذ عينات تمثل المجتمع الاحصائي فيوفر الوقت والجهد والمصداقية في الاجابةعلى بنوده وخاصة اذا ما تم ضمن نطاق السرية التي تحفظ للفرد عدم افشاء اسمه، وفي الاستبيان المدونِ في آخر البحث نعرض نموذجاً مثالياً يصلح للأخذ به في التعرف على أسباب الادمان، وهذا الاستبيان صادر عن منظمة الصحة العالمية.

ب ـ الاختصاصات الفنية:

مما لا شك فيه أن الانسان المختص هو الاساس في علم

المنهج والبحث، فهو الذي يضع الافتراضات في البحوث، ويحدد وسائلها ويستخلص النتائج في التعرف على المتحولات المسببة للسلوك أو الظاهرة هدف البحث أو الدراسة.

لذا تبرز الأهمية في تأمين الاختصاصات الفنية في مراكز البحوث الوطنية المعنية بالصحة والتي تنصب فيها جميع المعلومات من الأجهزة التنفيذية التي تجمع المعلومات من الأفراد الذين يتعاطون المخدرات أو الذين يتعالجون في المؤسسات الصحية المختلفة المستويات، أو نتاجات الجامعات العلمية في رسائلها الجامعية على مستوى الماجستير والدكتوراه التي تدرس ظواهر الادمان على المخدرات ومن ثم معاملتها احصائياً لاستخلاص أسباب الادمان.

د ـ الأجهزة التنفيذية:

الأجهزة التنفيذية هي أدوات جمع المعلومات من خلال استخدام وسيلة القياس وتطبيقها على شرائح المدمنين على المخدرات الذين يؤمون هذه الأجهزة إما بغرض العلاج أو نتيجة التوقيف الجنائي لتعاطي المخدر، وهذه الأجهزة هي:

١ ـ مراكز الرعاية الصحية الأولية:

هذه المراكز التي من جملة مهامها علاج المدمنين على المخدرات والمسكرات على أساس علاج خارجي، ففي

هذه المراكز يتعين وجود مركز للمعلومات تنحصر مهمته في جمع الاستبيانات الخاصة الموضوعة للادمان والتي حررها المرضى الذين يؤمون هذه المراكز بغرض العلاج على المستوى العلاجي والتتبعي (يقصد بالتتبعي المتابعة العلاجية للمريض المدمن خلال مدة معالجته وما بعد العلاج لمعرفة استجابته العلاجية سلباً أم ايجاباً).

٢ ـ المشافي الخاصة الطبية النفسية والعامة (العامة وتشمل القطاع العسكري والمدني):

ليست مشافي الدولة هي المعنية في عملية المسح التي نحن بصددها بل يجب ان يسهم القطاع الخاص السيكاتري الاستشفائي في جمع المعلومات من مرضى الادمان الذين يعالجون في هذه المشافي بالصورة التي ذكرناها في مراكز الرعاية للصحة الأولية تنفيذاً واجراءاً.

٣ ـ العيادات الخارجية السيكاترية للقطاع الخاص:

وتشمل الحملة المسحية أيضاً الأطباء السيكاتريين والسيكولوجيين المهنيين وجميع المختصين العاملين في الصحة النفسية بحيث تجبر الجهات المعنية في الدولة هؤلاء المختصين بضرورة استخدام وسيلة القياس النموذجية المعممة في جميع العلاجات الخاصة بالمسكرات والمخدرات للأفراد الذين يتعالجون في هذه العيادات، وهذا يستوجب سن تشريعات لها صفة القانون أو

القرارات ذات الطابع القضائي الملزمة التنفيذ.

٤ ـ مراكز رعاية الأحداث والاصلاحيات والسجون:

من المعروف أن الأحداث الجانحين مادون السن القانوني الجرمي الذين قبضت عليهم العدالة بجرم تعاطي المخدر أو المسكر يرسلون عادة الى الاصلاحيات لقضاء فترة العقوبة الاصلاحية، في هذه المراكز تنحصر فئات معينة متعاطية للمخدرات أو المسكرات، وهذه المراكز هي أجهزة تنفيذية هامة في جمع المعلومات عن اعداد الأحداث الذين يتعاطون المسكر أو المخدر، والأمر نفسه بالنسبة للسجون بالنسبة للمحكومين في جرم تعاطي المخدر أو الجرائم المتعددة التي للادمان فيها ضلع وتأثير.

٥ ـ المنظمات الدولية الصحية:

في بعض البلدان تقدم بعض المنظمات الدولية خدمات صحية على مستوى الرعاية الأسرية الصحية، وبما أن المسكرات والمخدرات تحدث اختلاطات عضوية، وبخاصة المسكرات فإن هذه المراكز الدولية الصحية العاملة في الميدان الصحي والمحلي، يمكن أيضاً أن نستفيد منها لجمع المعلومات عن المرضى الذين تعود أسباب مرضهم الى تعاطي بعض المؤثرات العقلية.

٦ ـ الجامعات والرسائل العلمية:

يمكن أن تسهم الأبحاث العلمية على مستوى الماجستير والدكتوراه في دراسة الظواهر السلوكية الادمانية من حيث الأسباب والحجم، وهنا فإن وزن هذه الدراسات العلمية هي رفد ثمين في البحث العلمي المنشود الذي يضاف الى الجهود الأخرى المبذولة من قبل الأجهزة التنفيذية التي ذكرناها.

يتعين هنا التنسيق بين مركز البحوث الوبائية للصحة النفسية مع وزارة التعليم العالي من أجل وضع خطط للرسائل العلمية التي تخدم أهداف هذا المركز الوطني.

بعد هذا العرض السريع للأجهزة ولوسائل القياس نتكلم عن آلية العمل التنفيذي الاجرائي

يضع مركز البحوث الوطنية الوبائية للصحة النفسية (إن وجد هذا المركز أو أي مركز آخر بتسمية أخرى يقوم بمهمات هذا المركز)، وسائل القياس ويحدد الأجهزة التنفيذية المعنية في عمليات المسح الوبائي لظاهرة السلوك الادماني على المخدرات والمسكرات بتعليمات ذات صبغة اجرائية قضائية من أجل الالتزام بالمسئوليات المناطة بهذه الأجهزة على مستوى القطاع العام والخاص.

ترسل هذه الأجهزة المعلومات بصورة الاستبيانات

النوعية التي أصدرها مركز البحوث والتي تجمعت لديها وبصورة دورية حيث يتم معاملتها معاملة علمية احصائية ومنهجية من قبل مختلف الاختصاصات المحددة في هذا المركز، ويستخلص الخط القاعدي على مستوى الأسباب وحجم المشكلة (أي الادمان) الديمغرافي ومن ثم يرسلها الى الجهات التالية:

- وزارة الاعلام - وزارة الصحة - وزارة الدفاع - وزارة العدل - وزارة الداخلية.

يتم تشكيل لجنة على المستوى الوطني المؤلف من الوزارات السالفة الذكر لوضع الخطط العلاجية والوقائية ووسائل تنفيذها المرحلي اضافة الى تقويم هذه الخطط بين حين وآخر لمعرفة فعالياتها والثغرات التي فيها.

تلك هي الخطوط العامة للتخطيط العلمي على المستوى البحثي والاجرائي في دراسةٍ ظاهرة الادمان على المخدرات والمسكرات في مجتمع أو بلد معين.

نموذج استبيان مسح خاص بالادمان على المخدرات والمؤثرات العقلية

أولاً: البيانات السكانية (الديمغرافية):

١ ـ الجنس.
٢ ـ العمر.
٣ ـ تاريخ الولادة.
٤ ـ السن.
٥ ـ الحالة الاجتماعية: متزوج ( )
عازب: ( ) مطلق: ( ).
٦ ـ الاقامة الحالية حدد بوضع اشارة أمام التالي:
أ ـ شقة أو بيت ( ).
ب ـ ملجأ خاص ( ).
جـ ـ مؤسسة اصلاحية ( ).
د ـ لا يوجد مأوى ثابت ( ).
هـ ـ مدينة ( ).
و ـ قرية ( ).
ز ـ مع والد أو والدة. ( ).
ح ـ مع أقارب ( ).
ط ـ التبني ( ).

ثانياً: بيانات اقتصادية ـ مهنية:

١ ـ الأميــة:

أ ـ ملم بالقراءة والكتابة ( ).

ب ـ أمي ( ).

٢ ـ المستوى الثقافي التحصيلي:

حدد هذا المستوى:

٣ ـ التدريب المهني ان وجد:

نوعه:

٤ ـ العمل الحالي:

ـ نوعه:

ـ الاستقرار في العمل (تعدده أو عدم تعدده).

ـ المدة التي قضيتها في العمل الحالي:

٥ ـ نوع الوظيفة التي تشغلها:

٦ ـ مهنة الأب أو الوصي.

٧ ـ مستوى دخل الأب أو الوصي.

٨ ـ مصادر الدخل.

ثالثاً: البيانات الخاصة باستخدام المخدرات والمسكرات:

١ ـ المخدر الأساسي المستعمل.

٢ ـ المسكر المستعمل.

٣ ـ التكاليف المصروفة على استهلاك المخدر شهرياً وسطياً.
٤ ـ التكاليف المصروفة على استهلاك المخدر المسكر شهرياً وسطياً.
٥ ـ نوع الدواء المستعمل الطبي المصروف بوصفة طبية
٦ ـ قصة تعاطي المخدر أو المسكر (ضع اشارة × مع ذكر المخدر أو المسكر).
أ ـ عن طريق أحد أفراد الأسرة.
ب ـ عن طريق الأصدقاء.
جـ ـ عن طريق المروجين وتجار المخدرات.
د ـ عن طريق الأطباء.
هـ ـ عن طريق المصادفة
و ـ أية واسطة أخرى.
٧ ـ السبب الداعي الى تعاطي المخدر لأول مرة:
أ ـ فضولية وتعرف.
ب ـ عادة جارية (المسكر).
جـ ـ عادة اجتماعية (القات).
د ـ للتسلية
هـ ـ بسبب عِلاج حالة أو اضطراب بدني.
ز ـ لإزالة اضطراب أو ازعاج نفسي.
ح ـ لازالة التعب أو الكسل وضعف النشاط.
ـ بسبب الجوع.

- بسبب البرد.
- أي سبب آخر

رابعاً: البيانات الخاصة بالمعالجة واعادة التأهيل:

١ ـ حدد المشكلات التي تعانيها (ضع اشارة ×).

أ ـ مشكلة صحية بدنية ( ).

ب ـ مشكلة اقتصادية ( ).

جـ ـ مشكلة قانونية ( ).

د ـ مشكلة أسرية ( ).

هـ ـ مشكلة نفسية ( ).

٢ ـ نوع العلاج الذي تلقيته سابقاً بسبب الادمان (ان وجد ضع اشارة ×).

أ ـ علاج نفسي ( ).

ب ـ علاج دوائي ( ).

جـ ـ علاج دوائي ونفسي ( ).

٣ ـ حدد الأعراض النفسية والفسيولوجية أو احداهما والتي انتابتك سابقاً بسبب توقعك لأمر ما عن تعاطي المخدر أو المسكر (أذكر أحدهما).

٤ ـ حدد الجهة التي أحالتك الى العلاج ضد المخدر أو المسكر (ضع اشارة ×).

أ ـ أأنت طلبت العلاج وذهبت بنفسك الى المعالج المختص ( ).

ب ـ أأسرتك التي أحالتك الى المعالج المختص ( ).

جـ ـ الأصدقاء ( ).

د ـ القضاء أو الشرطة ( ).

هـ ـ الطبيب الخاص ( ).

و ـ أية جهة أخرى ( ).

خامساً: السجل العدلي أو الجرمي:

١ ـ التوقيف (ضع اشارة ×).

٢ ـ السجن.

٣ ـ أسباب التوقيف (ضع اشارة ×).

أ ـ اعتداء بسبب تعاطي المخدر ( ).

ب ـ أعمال عنف ( ).

جـ ـ جريمة كسب غير شرعي (حددها).

٤ ـ حدد المدة التي قضيتها في السجن.

٥ ـ الحالة القضائية الحالية (ان وجدت).

سادساً: المعلومات الطبية التشخيصية:

١ ـ الاختبارات الخاصة المخبرية بالكشف عن نوع المخدر المستعمل:

أ ـ الكوكايين.

ب ـ الباربيتيورات.

جـ ـ الأمفيتامينات.

د ـ أي مخدر آخر

٥ ـ التشخيص الطبي النفسي:

(يحدد من قبل الطبيب النفسي، أو الأخصائي النفسي المهني).